مجلة الجبل للعلوم الإنسانية والتطبيقية
Al-Jabal Journal of Humanities and Applied Sciences
المجلد السادس – العدد الأول – 2025 – الصفحات: 88-99

الْحَرَكَةُ وَدَوْرُهَا فِي إِضَاءَةِ الْفِكْرَةِ وَتَجْسِيمِ الدَّلاَلَةِ

د. امحمد محمد الدكتور
جامعة الزنتان ، ليبيا
Attaktr1969@gmail.com

The Variation of the Imperfect Verb's Case Endings and Its Impact on Meaning

Mohammed Mohammad aldaktoor
Zintan University- libya

تاريخ الاستلام: 12-08-2025، تاريخ القبول: 17-09-2025، تاريخ النشر: 25-09-2025

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على الدور المحوري للحركات الإعرابية والبنائية في تشكيل المعنى والدلالة في النص القرآني، متجاوزاً وظيفتها النحوية التقليدية إلى كونها أداة فعالة في إثراء التنوع الدلالي، ويعتمد على المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء أمثلة حية من ظاهرة تعدد القراءات القرآنية المتواترة، مبرزاً كيف أن التغير الطفيف في حركة حرف واحد يمكن أن يولد طبقات متعددة من المعاني المتكاملة وليس المتضاربة من خلال تحليل أمثلة مثل اختلاف القراءات في كلمات، مثل: (رَبَّنَا بَاعِدْ) بين النصب والرفع، و(قُرْحٌ، وقَرْحٌ) بين الضم والفتح، ويوضح البحث كيف أن كل قراءة تقدم دلالة خاصة تخدم السياق العام للآية. فقراءة الرفع في (رَبُّنَا بَاعِدَ) تحمل معنى الإخبار عن فعل الله بالفعل، بينما قراءة النصب (رَبَّنَا بَاعِدْ) تحمل معنى الدعاء والطلب.

وقد خلص البحث إلى أن هذه الظاهرة ليست مجرد اختلافات صوتية، بل هي سمة بلاغية فريدة تكشف جانباً من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، حيث تثري المعنى وتظهر مرونة اللغة العربية وقدرتها الفائقة على التعبير والدقة، مؤكدة أن كل قراءة معتبرة صحيحة وتحمل مساحة دلالية تثري الفهم والتفسير.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الحركات الإعرابية، التنوع الدلالي، القراءات القرآنية ، الإعجاز البياني

Abstract

This research highlights the pivotal role of syntactic and structural diacritics in shaping meaning and semantics in the Qur'anic text, moving beyond their traditional grammatical function to being an effective tool for enriching semantic diversity. It relies on the descriptive-analytical method to extrapolate vivid examples from the phenomenon of multiple, widely transmitted Qur'anic readings, demonstrating how a slight change in the vowel of a single letter can generate multiple layers of complementary, rather than contradictory, meanings.

Through the analysis of examples such as the differing readings in words like (رَبَّنَا بَاعِدْ) between the accusative and nominative cases, and (قَرْحٌ & قُرْحٌ) between dammah and fathah, the research illustrates how each reading offers a specific meaning that serves the overall context of the verse. The nominative reading (رَبُّنَا بَاعِدَ) carries the meaning of informing about God's action as a fact, while the accusative reading (رَبَّنَا بَاعِدْ) carries the meaning of supplication and request.

The research concluded that this phenomenon is not merely a matter of phonetic differences; rather, it is a unique rhetorical feature that reveals an aspect of the inimitability of the Noble Qur'an. It enriches the meaning and demonstrates the flexibility of the Arabic language and its supreme capacity for expression and precision, confirming that every considered reading is valid and carries a semantic space that enriches understanding and interpretation.

Keywords: Semantics, Syntactic Diacritics, Semantic Diversity, Qur'anic Readings, Inimitability

مقدمة

مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الحَرَكَةَ الإِعْرَابِيَّةَ قَدْ تَجْتَازُ أَثَرَهَا النَّحْوِيَّ وَالوَظِيفِيَّ، فَتَقْتَحِمُ بُنْيَةَ الكَلِمَةِ لِتُشَارِكَ بِذَلِكَ فِي إِثْرَاءِ التَّنَوُّعِ الدِّلَالِيِّ، فَإِذَا كَانَتْ مَهَمَّةُ الصَّرْفِ قَدْ وَقَفَتْ عِنْدَ كَوْنِهِ "العِلْمَ الَّذِي تُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ صِيَاغَةِ الأَبْنِيَةِ العَرَبِيَّةِ، وَأَحْوَالُ هَذِهِ الأَبْنِيَةِ الَّتِي لَيْسَتْ إِعْرَابًا وَلَا بِنَاءً"[1].

بِمَعْنَى أَنَّ مَوْضُوعَهُ يَقْتَصِرُ عَلَى المُفْرَدَاتِ العَرَبِيَّةِ مِنْ حَيْثُ البَحْثُ عَنْ كَيْفِيَّةِ صِيَاغَتِهَا لِإِفَادَةِ المَعَانِي، وَذَلِكَ قَبْلَ ارْتِبَاطِهَا مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الأَلْفَاظِ فِي التَّرَاكِيبِ وَالسِّيَاقَاتِ.

إِلَّا أَنَّ الَّذِي سَأَهْتَمُّ بِهِ هُنَا هُوَ الأَثَرُ الدِّلَالِيُّ الَّذِي يَنْجُمُ عَنْ تَنَوُّعِ أَبْنِيَةِ الكَلِمَاتِ دَاخِلَ سِيَاقَاتِهَا القُرْآنِيَّةِ، تِلْكَ الأَبْنِيَةُ الَّتِي تُسَاهِمُ فِي صِيَاغَتِهَا الحَرَكَاتُ وَغَيْرُ الحَرَكَاتِ، فَتَعْصِمُ صَرْحَ الجُمْلَةِ أَوِ التَّرْكِيبِ مِنَ التَّفَكُّكِ، أَوِ التَّخَاذُلِ فِي الدِّلَالَةِ وَالبَيَانِ، وَمِنَ المُسَلَّمِ بِهِ أَنَّ القُرْآنَ العَظِيمَ قَدْ تَنَزَّلَ بِلُغَةِ العَرَبِ مُسَاوِقًا لِأَسَالِيبِهِمْ، وَتَعْبِيرَاتِهِمْ، مُتَمَيِّزًا بِذَلِكَ نَسَقًا فَرِيدًا فِي مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ، حَتَّى عُدَّ المِعْمَارُ القُرْآنِيُّ سِرًّا مِنَ الأَسْرَارِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَيُّ تَرْكِيبٍ أَدَبِيٍّ آخَرَ مَهْمَا رَقَّ وَسَمَا، وَلَيُخَيَّلُ إِلَى مَنْ يُمعِنُ النَّظَرَ فِيهِ أَنَّهُ رَصْفٌ بِنَائِيٌّ فَرِيدٌ بَيْنَ كُلِّ مَا كُتِبَ بِالعَرَبِيَّةِ سَابِقًا وَلَاحِقًا، فَإِذَا أَضَفْنَا إِلَى ذَلِكَ تَغَايُرَ قِرَاءَاتِهِ، وَتَنَوُّعَ دِلَالَاتِهِ، ازْدَادَ المَرْءُ إِعْجَابًا عَلَى إِعْجَابِهِ، وَازْدَادَ القُرْآنُ ثَرَاءً عَلَى ثَرَائِهِ، وَمِنْ هُنَا حُقَّ لِلعَرَبِيَّةِ أَنْ يُعَدَّ مَصْدَرُهَا الوَحِيدُ، فَقَدْ أَمَدَّهَا بِأَرْقَى مَا تَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ لَفْظٍ وَأُسْلُوبٍ وَمَعْنًى.

وَسَأُحَاوِلُ أَنْ أَتَلَمَّسَ مِنْ هَذَا البِنَاءِ القُرْآنِيِّ العَتِيدِ أَثَرَ الحَرَكَةِ البِنَائِيَّةِ فِي تَوْجِيهِ المَعْنَى الدِّلَالِيِّ وَتَنَوُّعِهِ.

أَهَمِّيَّةُ البَحْثِ:

إِنَّ أَهَمِّيَّةَ البَحْثِ تَكْمُنُ فِي الكَشْفِ عَنْ مَوَاطِنِ البَرَاعَةِ فِي العَرَبِيَّةِ، وَمَنَاطٍ مِنْ مَنَاطَاتِ جَمَالِهَا، وَذَلِكَ بِبَحْثِ كَيْفِيَّةِ صِيَاغَةِ الأَبْنِيَةِ العَرَبِيَّةِ وَمَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْ حَرَكَاتٍ تَنْظِيرًا وَتَطْبِيقًا، بِمَا يُثْبِتُ أَنَّ لِلعَرَبِيَّةِ فِي مَبْحَثِ الحَرَكَاتِ وَأَثَرِهَا بَيْنَ الأَلْفَاظِ وَالمَعَانِي نَصِيبًا وَافِرًا، يُعَدُّ بِلا شَكٍّ مِنْ خَصَائِصِ هَذَا اللِّسَانِ الشَّرِيفِ، وَمِنَ المَظَاهِرِ الَّتِي تُمَيِّزُهُ فِي التَّعْبِيرِ وَالبَيَانِ. وَذَلِكَ مِمَّا يَبْغِيهِ كُلُّ دَارِسٍ، وَيَسْتَهْدِفُهُ كُلُّ بَاحِثٍ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

إِشْكَالِيَّةُ البَحْثِ:

يُمْكِنُ صِيَاغَةُ الإِشْكَالِيَّاتِ الَّتِي يُعَالِجُهَا البَحْثُ فِي التَّسَاؤُلَاتِ الآتِيَةِ:

- هَلْ لِلْحَرَكَةِ دَوْرٌ فِي إِضَاءَةِ الفِكْرَةِ اللُّغَوِيَّةِ وتَجْسِيمِ الدَّلَالَةِ فِي لُغَةِ العَرَبِ؟
- كَيْفَ يُمْكِنُ إِثْبَاتُ ظَاهِرَةِ الحَرَكَةِ فِي لُغَةِ العَرَبِ، بِحَيْثُ يُمْكِنُ تَوْصِيفُهَا وَالوُقُوفُ عَلَى مَوَاطِنِهَا وَتَحْلِيلُهَا؟
- هَلْ مِنْ خَصِيصَةٍ تُمَيِّزُ اللِّسَانَ العَرَبِيَّ عَنْ غَيْرِهِ فِي هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، كَمَا امْتَازَ فِي ظَوَاهِرَ لُغَوِيَّةٍ أُخْرَى؟

مَنْهَجِيَّةُ البَحْثِ:

إِنَّ طَبِيعَةَ البَحْثِ وَحُدُودَهُ، كَمَا تَمَّ وَصْفُهَا، وَمِنْ خِلَالِ تَوْضِيحِ غَايَاتِهَا، تَسْتَدْعِي أُسْلُوبًا عِلْمِيًّا يَعْتَمِدُ عَلَى الوَصْفِ وَالتَّحْلِيلِ وَالاسْتِقْرَاءِ وَالاسْتِنْبَاطِ، حَتَّى يَتَأَتَّى تَحْدِيدُ مَفْهُومِ الحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ عُمُومًا، ثُمَّ فِي مُسْتَوَى اللُّغَةِ خُصُوصًا، ثُمَّ تَحْلِيلُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالاسْتِشْهَادُ عَلَيْهَا.

هَيْكَلِيَّةُ البَحْثِ:

اشْتَمَلَ هَذَا البَحْثُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ، ثُمَّ بَيَانِ مَفْهُومِ الحَرَكَةِ وَدَوْرِهَا فِي إِضَاءَةِ الفِكْرَةِ وَتَجْسِيمِ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَذُيِّلَ بِخَاتِمَةٍ ضَمَّتْ نَتَائِجَ وَتَوْصِيَاتٍ، ثُمَّ مَصَادِرَ الْبَحْثِ وَمَرَاجِعَهُ.

أَوْجُهُ تَغَايُرِ الْقِرَاءَاتِ:

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَوْجُهِ تَغَايُرِ القِرَاءَاتِ اخْتِلَافُ أَبْنِيَةِ الكَلِمَاتِ فِيهَا، وَذَلِكَ إِمَّا بِتَغَايُرِ حَرَكَاتِ بِنَاءِ الأَلْفَاظِ، وَإِمَّا بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ أَوْ سَدٍّ أَوْ مَدٍّ فِي الحُرُوفِ.

فَمِنْ أَوْجُهِ تَغَايُرِ القِرَاءَاتِ لِاخْتِلَافِ أَبْنِيَةِ الكَلِمَاتِ مِنْ جَرَّاءِ تَغَايُرِ الحَرَكَاتِ – عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ – قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سَبأ: 19].

هَذِهِ الآيَاتُ مِنْ سُورَةِ (سَبَأَ) وَهِيَ قَبِيلَةٌ بِاليَمَنِ، قِيلَ: سُمِّيَتْ بِاسْمِ جَدٍّ لَهُمْ، وَقِيلَ: (سَبَأُ) مَدِينَةٌ، وَهِيَ الَّتِي مِنْهَا بَلْقِيسُ. كَانَتْ بِلاَدُهُمْ جَنَّاتٍ مَلْأَى بِالأَشْجَارِ وَالثِّمَارِ وَالبَسَاتِينِ، لَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ.

وَكَانَ مِنْ مِنَنِ اللهِ عَلَيْهِمْ أَنْ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ قُرًى مُتَتَابِعَةً يُحِيطُ بِهَا المَاءُ وَالشَّجَرُ وَالزَّهْرُ وَالثَّمَرُ، حَتَّى إِنَّ المُسَافِرَ لَا يَنْتَهِي مِنْ قَرْيَةٍ حَتَّى يَدْخُلَ أُخْرَى، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الزَّادِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سَبأ: 18]، أَيْ: آمِنِينَ مِنَ المَوْتِ وَالفَزَعِ وَالجُوعِ وَالعَطَشِ، وَلَكِنَّ لِقِلَّةِ إِيمَانِهِمْ أَطْغَتْهُمُ الرَّاحَةُ، وَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، فَطَغَوْا، وَنَزَغَ الشَّيْطَانُ فِي نُفُوسِهِمْ، وَتَحَرَّكَ الكُفْرُ الكَامِنُ فِي قُلُوبِهِمْ "فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا"، وطَلَبُوا اسْتِبْدَالَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ أَبْعَدُ، كَمَا فَعَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَتَمَنَّوْا أَنْ يَجْعَلَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ مَفَاوِزَ لِيَرْكَبُوا الرَّوَاحِلَ فِيهَا، وَيَتَزَوَّدُوا بِالزَّوَادِ زَاهِدِينَ فِي الرَّاحَةِ، طَالِبِينَ الكَدْحَ فِي المَعِيشَةِ. وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنْ تَبَدَّدُوا فِي الدُّنْيَا وَفُرِّقُوا فِي البِلَادِ، فَتَمَزَّقُوا شَرَّ مُمَزَّقٍ، وَجُعِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ مَفَاوِزَ وَفَلَوَاتٍ، وَأَصْبَحُوا مَضْرِبَ المَثَلِ فِي الشَّتَاتِ وَالتَّفَرُّقِ، حَتَّى قِيلَ: تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَأَ[2].

قَرَأَ جُمْهُورُ السَّبْعَةِ ﴿رَبَّنَا﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى النِّدَاءِ، وَ﴿بَاعِدْ﴾ عَلَى الطَّلَبِ. وَقَرَأَ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنَفِيَّةِ، وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي صَالِحٍ وَأَبِي لَيْلَى الكَلْبِيِّ ﴿رَبُّنَا بَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بِضَمِّ البَاءِ مِنْ (رَبُّ)، وَفَتْحِ العَيْنِ وَالدَّالِ مِنْ (بَاعِدَ). وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ ﴿رَبُّنَا بَعَّدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ عَلَى صِيغَةِ المَاضِي. وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو ﴿رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ عَلَى صِيغَةِ الطَّلَبِ. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الحَسَنِ، وَهُوَ أَخُو الحَسَنِ البَصْرِيِّ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعُدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بِضَمِّ العَيْنِ. فَهَذِهِ خَمْسُ قِرَاءَاتٍ[3].

وَقِرَاءَةُ (بَاعِدْ) وَ(بَعِّدْ) عَلَى الطَّلَبِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي المَعْنَى، كَمَا تَقُولُ: قَارِبْ وَقَرِّبْ. وَفِي هَذِهِ القِرَاءَةِ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ دَعَوْا رَبَّهُمْ أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِهِمْ حَيْثُ بَطِرُوا النِّعْمَةَ وَمَلُّوا العَافِيَةَ، وَطَلَبُوا مِنَ اللهِ أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَ قُرَاهُمُ المُتَّصِلَةِ لِيَمْشُوا فِي المَفَاوِزِ وَيَتَزَوَّدُوا لِلأَسْفَارِ. وَ(رَبَّنَا) نَصْبٌ عَلَى أَنَّهُ مُنَادًى مُضَافٌ.

وَالقِرَاءَةُ الثَّالِثَةُ ﴿رَبُّنَا بَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، وَكَذَا الرَّابِعَةُ: ﴿رَبُّنَا بَعَّدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فَ(رَبُّنَا) رَفْعٌ بِالابْتِدَاءِ، وَ(بَاعَدَ) أَوْ (بَعَّدَ) فِعْلٌ مَاضٍ فِي مَوْضِعِ الخَبَرِ، وَ(بَيْنَ) هُنَا مَنْصُوبٌ عَلَى المَفْعُولِ بِهِ، وَلَيْسَ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، بِمَعْنَى: بَاعَدَ مَسَافَةَ أَسْفَارِنَا[4].

وَالْمَعْنَى عَلَى هَاتَيْنِ القِرَاءَتَيْنِ أَنَّهُمْ لَمَّا دَعَوْا رَبَّهُمْ أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِهِمْ بَطَرًا وَأَشَرًا، وَحَصَلَ لَهُمْ مَا طَلَبُوا، أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي هَذِهِ القِرَاءَةِ أَنَّهُمْ لَمَّا فُعِلَ بِهِمْ ذَلِكَ عَبَّرُوا بِهِ وَشَكَوْا أَنَّ رَبَّهُمْ بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِهِمْ – كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، أَيْ: بِكُفْرِهِمْ.

أَمَّا القِرَاءَةُ الخَامِسَةُ: ﴿رَبَّنَا بَعُدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بِفَتْحِ البَاءِ مِنْ (رَبَّ)، وَضَمِّ العَيْنِ مِنْ (بَعُدَ)، وَضَمِّ نُونِ (بَيْنُ)، فَ(رَبَّنَا) مُنَادًى مُضَافٌ، ثُمَّ أَخْبَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالُوا: (بَعُدَ بَيْنُ أَسْفَارِنَا) وَرُفِعَ (بَيْنُ) بِالفِعْلِ، أَيْ بَعُدَ مَا يَتَصِلُ بِأَسْفَارِنَا، أَوْ كَقَوْلِكَ: بَعُدَ مَدَى أَسْفَارِنَا، فَ(بَيْنُ) اسْمٌ وَلَيْسَتْ ظَرْفًا[5].

وَهَكَذَا كَانَ لِلْحَرَكَاتِ البِنَائِيَّةِ فَضْلٌ فِي تَغَايُرِ القِرَاءَاتِ، مِمَّا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ إِثْرَاءُ التَّنَوُّعِ الدِّلالِيّ، فَكُلُّ قِرَاءَةٍ لَهَا دِلَالَةٌ خَاصَّةٌ فِي المَعْنَى، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ إِحْدَى القِرَاءَاتِ أَجْوَدُ مِنَ الأُخْرَى، بَلْ إِنَّ كُلَّ قِرَاءَةٍ قَدْ دَلَّتْ عَلَى مَعْنًى لَمْ تَدُلَّ عَلَيْهِ القِرَاءَةُ الأُخْرَى، وَكُلُّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الأَهَمِّيَّةِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرَ أَحْمَدُ النَّحَّاسُ (تَ: 338 هـ): "وَهَذِهِ القِرَاءَاتُ إِذَا اخْتَلَفَتْ مَعَانِيهَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ: إِحْدَاهَا أَجْوَدُ مِنَ الأُخْرَى"[6].

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ اللهِ عَزَّتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 140]. يَقُولُ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ: إِنْ غُلِبْتُمْ وَهُزِمْتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَدْ شَرِبَ القَوْمُ مِنْ نَفْسِ الكَأْسِ يَوْمَ بَدْرٍ، أَيْ إِنَّهُمْ يَتَأَلَّمُونَ كَمَا تَأَلَّمْتُمْ، وَلَكِنَّكُمْ تَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ. وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ مِنْهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ. ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، قِيلَ هَذَا فِي الحَرْبِ، يَكُونُ النَّصْرُ فِيهَا مَرَّةً لِلمُؤْمِنِينَ لِيُنْصِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دِينَهُ وَيُعْلِيَ كَلِمَتَهُ، وَمَرَّةً تَكُونُ الغَلَبَةُ لِلْكَافِرِينَ إِذْ عَصَى المُؤْمِنُونَ لِيَبْتَلِيَهُمْ وَيُمَحِّصَ ذُنُوبَهُمْ[7].

قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَالأَعْمَشُ مِنْ طَرِيقِهِ (قُرْحٌ) بِضَمِّ القَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَبَاقِي السَّبْعَةِ (قَرْحٌ) بِفَتْحِ القَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ[8]. وَتَغَايُرُ القِرَاءَةِ فِيهَا نَتَجَ عَنْهُ اخْتِلَافٌ فِي مَعْنَى كُلِّ قِرَاءَةٍ.

ذَهَبَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ القِرَاءَتَيْنِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، أَيْ: إِنَّهُمَا لُغَتَانِ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الكِسَائِيُّ وَالأَخْفَشُ، وَقَالَا: هُمَا مِثْلُ الضَّعْفِ وَالضُّعْفِ، وَالكَرْهِ وَالكُرْهِ، وَالفَقْرِ وَالفُقْرِ[9].

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ (تَ: 377 هـ): "(قَرْحٌ) وَ(قُرْحٌ) مِثْلُ الضَّعْفِ وَالضُّعْفِ، وَالكَرْهِ وَالكُرْهِ، وَكَانَ الفَتْحُ أَوْلَى[10]؛ لِقِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ؛ لِأَنَّهَا لُغَةُ الحِجَازِ، وَالأَخْذُ بِهَا أَوْجَبُ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ عَلَيْهَا نَزَلَ، وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ: "قَرُحَ يَقْرَحُ قَرْحًا وَقُرْحًا، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الآخَرِ"[11].

وَقَالَ العُكْبُرِيُّ (تَ: 616 هـ): "يُقْرَأُ بِفَتْحِ القَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَيُقْرَأُ بِضَمِّ القَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الجِرَاحِ أَيْضًا"(12). وَذَهَبَ بَعْضُ المُوَجِّهِينَ مِنْ أَهْلِ المَعَانِي إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ، فَكُلُّ قِرَاءَةٍ فِي نَظَرِهِمْ لَهَا دِلَالَةٌ مُعَيَّنَةٌ، مُسْتَنِدِينَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلٍ لِلفَرَّاءِ (تَ: 207 هـ) جَاءَ فِيهِ: "وَكَأَنَّ القُرْحَ – بِالضَّمِّ – أَلَمُ الجِرَاحَاتِ، وَكَأَنَّ القَرْحَ – بِالفَتْحِ – الجِرَاحُ بِأَعْيَانِهَا"(13). وَعَلَى هَذَا اسْتَنَدَ ابْنُ زَنْجَلَةَ (تَ: 403هـ)، فَهُوَ يَرَى التَّفْرِيقَ بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ تَبَعًا لِقِرَاءَةِ الضَّمِّ وَالفَتْحِ: "وَأَوْلَى الأَقْوَالِ قَوْلُ الفَرَّاءِ؛ لِتَصْيِيرِهِمَا المَعْنَيَيْنِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ – وَقَدْ أَسَاهما فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِمَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الأَلَمَ –: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ القَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ: إِنْ يَمْسَسْكُمْ أَلَمٌ مِنْ أَيْدِي القَوْمِ فَإِنَّ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ مَا بِكُمْ"[14].

وَإِنِّي لَأَرَى أَنَّ مَدْلُولَ القِرَاءَتَيْنِ لَيَذْهَبُ فِي الدِّلالَةِ أَبْعَدَ مِنْ مَعْنَى الجِرَاحِ وَآلَامِهَا، لِيَدُلَّ عَلَى الهَزِيمَةِ وَالغَلَبِ، وَمُطْلَقِ الأَذَى الَّذِي أَصَابَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَيَرِدُ مِثْلُ ذَلِكَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ عَزَّتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: 216].

مَعْنَى الآيَةِ الشَّرِيفَةِ: أَنَّهُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ بِمَعْنَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ إِعْلَاءً لِدِينِهِ، وَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ طَبْعًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ المُعَانَاةِ وَالمَشَقَّةِ، كَالبُعْدِ عَنِ الأَهْلِ وَالوَلَدِ؛ وَلِأَنَّهُ فِي ظَاهِرِهِ تَعَرُّضٌ لِلتَّلَفِ وَالفَنَاءِ مَعَ أَنَّهُ أَسَاسُ الحَيَاةِ وَسِرُّ البَقَاءِ. (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)، قِيلَ: إِنَّ (عَسَى) هُنَا بِمَعْنَى (قَدْ)، وَقِيلَ هِيَ وَاجِبَةٌ، وَعَلَيْهِ فَكُلُّ (عَسَى) فِي القُرْآنِ هِيَ وَاجِبَةٌ إِلَّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التَّحْرِيمِ: 5]. وَالمَعْنَى: كَالقِتَالِ الَّذِي هُوَ فِي ظَاهِرِهِ التَّعَرُّضُ لِلتَّهْلُكَةِ، وَفِي بَاطِنِهِ النَّجَاةُ مِنْهَا، وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ فِيهِ طَهَارَةَ البِلَادِ وَنَجَاةَ العِبَادِ وَرَفْعَ كَلِمَةِ اللهِ تَعَالَى،

وَهُوَ أَيْضًا خَيْرٌ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ؛ لِأَنَّ لَكُمْ بِهِ كُلَّ الخَيْرِ مِنْ نَعِيمِ الجِنَانِ وَرِضَى الرَّحْمَنِ. ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ كَالهَرَبِ مِنَ القِتَالِ لِلْقُعُودِ مَعَ الأَهْلِ وَالوَلَدِ، وَمُعَاقَرَةِ مَلَذَّاتِ الحَيَاةِ، وَفِي هَذَا شَرٌّ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ يُسَبِّبُ الذُّلَّ وَالاسْتِعْبَادَ، وَفَقْدَ الكَرَامَةِ، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَيَحُلُّ بِكُمُ الجَحِيمُ وَالعَذَابُ الأَلِيمُ المُقِيمُ. وَالمُلَاحَظُ أَنَّ اللهَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ قَدْ فَتَحَ لَنَا فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ بَابَ الرَّجَاءِ فِي المَكْرُوهِ كَمَا خَوَّفَنَا مِنَ الشَّرِّ الَّذِي رُبَّمَا يَكُونُ كَامِنًا فِيمَا نُحِبُّ وَنَشْتَهِي. (وَاللهُ يَعْلَمُ) مَا فِيهِ الخَيْرُ لَكُمْ (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[15] .

هَذَا وَقَدْ تَغَايَرَتْ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ قِرَاءَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُرْهٌ﴾، فَقُرِئَتْ بِضَمِّ الكَافِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الجُمْهُورِ، وَقُرِئَتْ بِفَتْحِهَا(16). وَأَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ القِرَاءَتَيْنِ لُغَتَانِ، وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ مِثْلَ: الغُسْلِ وَالغَسْلِ، وَالفُقْرِ وَالفَقْرِ... بَلْ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ مِنَ (الكُرْهِ)، فَالضَّمُّ وَالفَتْحُ جَائِزٌ فِيهِ[17]، لِذَا يَرَى أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ (ت: 377 هـ): "أَنَّ مَنْ قَرَأَ الجَمِيعَ بِالضَّمِّ فَقَدْ أَصَابَ، وَكَذَلِكَ لَوْ قَرَأَ قَارِئٌ جَمِيعَ ذَلِكَ بِالفَتْحِ، وَكَذَلِكَ إِنْ قَرَأَ بَعْضَ ذَلِكَ بِالفَتْحِ وَبَعْضَهُ بِالضَّمِّ كُلُّ ذَلِكَ مُسْتَقِيمٌ"[18].

غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ اللُّغَوِيِّينَ يَرَى أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا فِي المَعْنَى جَلَبَهُ الضَّمُّ وَالفَتْحُ. قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: "(الكُرْهُ) – بِالضَّمِّ – المَشَقَّةُ، وَ(الكَرْهُ) – بِالفَتْحِ – مَا أُكْرِهْتَ عَلَيْهِ، هَذَا هُوَ الاخْتِيَارُ"[19]. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: "(الكُرْهُ) كُلُّ شَيْءٍ يُكْرَهُ فِعْلُهُ، وَبِالفَتْحِ مَا اسْتُكْرِهَ عَلَيْهِ"(20) . وَقِيلَ: (الكُرْهُ) – بِالضَّمِّ –: مَا كَرِهَهُ الإِنْسَانُ أَيْ مِنَ الكَرَاهَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾، وَذَلِكَ عَلَى وَضْعِ المَصْدَرِ مَوْضِعَ الوَصْفِ وَالمُبَالَغَةِ، وَ(الكَرْهُ) – بِالفَتْحِ – مَا أُكْرِهَ عَلَيْهِ[21]؛ إِذِ الكَرْهُ: القَهْرُ وَالغَلَبَةُ[22].

وَيُفَصِّلُ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ (تـ: 756هـ) الأَمْرَ أَكْثَرَ فَيَقُولُ: "(الكَرْهُ) – بِالفَتْحِ – مَا يُنَالُ الإِنْسَانُ مِنَ المَشَقَّةِ مِنْ خَارِجٍ، مِمَّا يَحُلُّ عَلَيْهِ بِإِكْرَاهٍ، وَ(الكُرْهُ) – بِالضَّمِّ – مَا يُنَالُ مِنْ ذَاتِهِ، وَهُوَ مَا تَعَارَفَهُ، وَذَلِكَ عَلَى نَوْعَيْنِ، أَحَدُهُمَا: مَا يَعَافُهُ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعُ، وَالثَّانِي: مَا يَعَافُهُ مِنْ حَيْثُ العَقْلُ وَالشَّرْعُ، وَلِذَلِكَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ الشَّيْءَ وَأُرِيدُهُ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ وَالعَقْلُ، أَوْ أَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعِ وَأُرِيدُهُ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعِ، وَعَلَى الأَوَّلِ قَوْلُهُ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾، أَيْ مِنْ حَيْثُ الطَّبْعِ". وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ هُوَ اقْتِفَاءٌ لِلرَّاغِبِ الأَصْفَهَانِيِّ (ت: 502هـ)[23] .

وَيَبْقَى القَوْلُ مَا قَالَهُ الزَّجَّاجُ (ت:311هـ) – عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ –: "إِنَّ كَرَاهِيَةَ المُؤْمِنِينَ لِلْقِتَالِ إِنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ عَلَى جِنْسِ غِلَظِهِ عَلَيْهِمْ وَمَشَقَّتِهِ؛ لَا أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَكْرَهُونَ فَرْضَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ –، لِأَنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا فِيهِ الحِكْمَةُ وَالصَّلَاحُ"[24].

وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ مَا تَرَدَّدَ فِي كَلِمَةِ (وَقُودٍ، وَوُقُودِ) الَّتِي تَغَايَرَتْ قِرَاءَاتُهَا بَيْنَ فَتْحِ الوَاوِ وَضَمِّهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البَقَرَة: [24]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: [10]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ [البُرُوجِ: [5].

فِي الآيَاتِ المُتَقَدِّمَةِ نَبَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَخَافُوا النَّارَ وَيَخْشَوْا بَأْسَهَا، وَذَلِكَ بِتَصْدِيقِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَمِنْ ثَمَّ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ مَنْ عَانَدَ فِي الحَقِّ بَعْدَ وُضُوحِهِ اسْتَوْجَبَ العِقَابَ بِالنَّارِ – أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ –، وَهَذِهِ النَّارُ مُمْتَازَةٌ عَنْ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهَا سَتُوقَدُ بِالكُفَّارِ مِنَ النَّاسِ، وَالحِجَارَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ[25] .

وَقَدْ تَغَايَرَتْ قِرَاءَةُ (الوَقُودِ)، فَقَرَأَهَا الجُمْهُورُ بِفَتْحِ الوَاوِ، وَقُرِئَ بِضَمِّهَا[26]. وَقد اخْتَلَفَ مَعْنَاهَا تَبَعًا لِقِرَاءَتِهَا عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ (الوَقُودَ) – بِالفَتْحِ – هُوَ الحَطَبُ، وَكُلُّ مَا أُوقِدَتْ بِهِ النَّارُ فَهُوَ وَقُودٌ. وَيُقَالُ: وَقَدَتِ النَّارُ وُقُودًا – بِالضَّمِّ – فَالمَصْدَرُ مَضْمُومٌ، وَيَجُوزُ فِيهِ الفَتْحُ، كَالوُضُوءِ وَالوَضُوءِ. أَيْ أَنَّ الضَّمَّ لُغَةٌ فِي الحَطَبِ، وَبِهَذَا تَكُونُ القِرَاءَتَانِ لُغَتَيْنِ فِي الحَطَبِ[27].

وَذَكَرَ ابْنُ جِنِّي (تـ392هـ): "أَنَّ الوُقُودَ – بِالضَّمِّ – هُوَ المَصْدَرُ، وَقَدْ جَاءَ عَنْهُمُ الوَقُودُ – بِالفَتْحِ – فِي المَصْدَرِ لِقَوْلِهِمْ: وَقَدَتِ النَّارُ وَقُودًا – بِالفَتْحِ"[28]. ثُمَّ قَالَ: "وَكُلُّهُ شَاذٌّ، وَالبَابُ هُوَ الضَّمُّ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِمْ: تَوَضَّأْتُ وَضُوءًا – بِالفَتْحِ – أَنَّ هَذَا المَفْتُوحَ لَيْسَ مَصْدَرًا[29]، وَإِنَّمَا هُوَ صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ. قَالَ: وَتَقْدِيرُهُ: تَوَضَّأْتُ وُضُوءًا وَوَضُوءًا – الأَوَّلُ بِالضَّمِّ وَالثَّانِي بِالفَتْحِ – لِقَوْلِكَ تَوَضَّأْتُ وَضُوءًا حَسَنًا؛ لِأَنَّ الوَضُوءَ عِنْدَهُ صِفَةٌ مِنَ الوَضَاءَةِ"

إِذَنْ فَعَلَى رَأْيِ ابْنِ جِنِّي (تَ: 392هـ) فَالقِرَاءَتَانِ لُغَةٌ فِي الحَطَبِ.

وَيَرَى الفَرِيقُ الثَّانِي: أَنَّ الوَقُودَ – بِالفَتْحِ – مَا تَرْتَفِعُ بِهِ النَّارُ مِنَ الحَطَبِ وَغَيْرِهِ، وَالوُقُودُ – بِالضَّمِّ – الفِعْلُ، وَهُوَ الِاتِّقَادُ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ يَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى التَّوَقُّدِ، وَيَكُونُ فِي الكَلَامِ حَذْفُ مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ: توقُّدُهَا احْتِرَاقُ النَّاسِ، أَوْ تَلَهُّبُ النَّاسُ، أَوْ ذُو وَقُودِهَا النَّاسُ. وَهَذَا المَعْنَى قَوْلُ الكِسَائِيِّ (ت:189هـ) وَالأَخْفَشِ (ت:215هـ)، وَاخْتَارَهُ العُكْبُرِيُّ (ت:616هـ)[30].

وَإِنِّي لَأَمِيلُ إِلَى رَأْيِ الْفَرِيقِ الثَّانِي لِمَا فِيهِ مِنْ تَنْوِيعِ الْمَعْنَى؛ ولِأَنَّ المُتمعِّنَ في القرآنِ الكريمِ يَجِدُه مع كلِّ قَصْدٍ لَفْظِيٍّ قد حَلَّى المَعْنَى في صُورَةٍ كَامِلَةٍ لا تَنْقُصُ شَيْئًا.

وَمِمَّا أَثَّرَتْ فيه الحَرَكَاتُ تَأْثِيرًا مُبَاشِرًا فَتَغَيَّرَتِ الصِّيَغُ تَبَعًا لَهُ، وَمِنْ ثَمَّ القِرَاءَةُ التي تَبِعَتْهُ تَنَوُّعٌ لِلْمَعْنَى الدِّلالِيِّ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: 47]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: 19].

يَعْنِي أَنَّ فِي الجَنَّةِ خُمُورًا (لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ) أَيْ لَذِيذَةً جِدًّا حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا اللَّذَّةُ نَفْسُهَا، وَهِيَ بِالتَّالِي تَخْتَلِفُ عَنْ خَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي تَجْعَلُ شَارِبَهَا يَهْرِفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ، مِنْ جَرَّاءِ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الفَسَادِ، كَالمَغْصِ، وَالصُّدَاعِ، وَالحَرْفِ، وَالعَرَبَدَةِ، وَاللَّغْوِ، وَالتَّأْثِيمِ[31].

هَذَا وَقَدْ تَغَايَرَتْ قِرَاءَةُ (يُنْزَفُونَ)[32] فِي الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ بَيْنَ فَتْحِ الزَّايِ، وَكَسْرِهَا، وَعَلَيْهِ فَقَدْ تَجَاذَبَ اللَّفْظَ مَعْنَيَانِ: دَلَّ عَلَى أَحَدِهِمَا الفَتْحُ، وَدَلَّ عَلَى الآخَرِ الكَسْرُ.

فَمَنْ قَرَأَ (يُنْزَفُونَ) – عَلَى البِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ – فَالمَعْنَى: إِنَّ خَمْرَ الجَنَّةِ لَا تُذْهِبُ عُقُولَ شَارِبِيهَا. وَيُقَالُ لِلسَّكْرَانِ: نَزِيفٌ، وَمَنْزُوفٌ، فَكَأَنَّ السَّكْرَانَ تُنْزَفُ فِهْمُهُ بِسُكْرِهِ.

وَمَنْ قَرَأَ (يُنْزِفُونَ) – بِكَسْرِ الزَّايِ – فَمَعْنَاهُ لَا يَنْفَدُ شَرَابُهُمْ كَمَا يَنْفَدُ شَرَابُ أَهْلِ الدُّنْيَا فَهُوَ دَائِمٌ أَبَدًا لَهُمْ[33].

فَالمَعْنَى الأَوَّلُ إِذَنْ مِنْ نَفَادِ العَقْلِ وَالفَهْمِ، وَالمَعْنَى الثَّانِي مِنْ نَفَادِ الشَّرَابِ، وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يَرَى أَنَّ (يُنْزَفُونَ) – بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِهَا – لُغَتَانِ فِيهَا، وَهِيَ مِنْ أُنْزِفَ الشَّارِبُ، إِذَا ذَهَبَ عَقْلُهُ، أَوْ شَرَابُهُ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ(34):

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُوا، أَوْ صَحَوْتُمُوا *** لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمُوا آلَ أَبْجَرَا[35]

وَلَكِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ النَّحَّاسَ (ت: 338 هـ) يَرَى أَنَّ "القِرَاءَةَ الأُولَى أَبْيَنُ وَأَصَحُّ فِي المَعْنَى؛ لِأَنَّ مَعْنَى (يُنْزَفُونَ) – بِفَتْحِ الزَّايِ – عِنْدَ جِلَّةِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ: لَا تُذْهِبُ عُقُولَهُمْ، فَنَفَى اللهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ خَمْرِ الجَنَّةِ الآفَاتِ الَّتِي تَلْحَقُ فِي الدُّنْيَا مِنْ شُرْبِ خَمْرِهَا مِنَ الصُّدَاعِ، وَالسُّكْرِ، وَغِيَابِ العَقْلِ، وَالإِدْرَاكِ.

فَأَمَّا مَعْنَى (يُنْزِفُونَ) – بِكَسْرِ الزَّايِ – فَالصَّحِيحُ فِيهِ أَنَّهُ يُقَالُ: أَنْزَفَ الرَّجُلُ، إِذَا نَفِدَ شَرَابُهُ، وَهَذَا يُبْعِدُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ شَرَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَلَكِنَّ مَحَازَّهُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى لَا يَنْفَدُ أَبَدًا"[36].

وَلَكِنَّ مَكِّيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (ت: 437هـ) يَرَى أَنَّ "الأَحْسَنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى نَفَادِ الشَّرَابِ؛ لِأَنَّ نَفَادَ العَقْلِ قَدْ نَفَاهُ عَنْ خَمرِ الجَنَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أَيْ لَا تَغْتَالُ عُقُولَهُمْ، فَتَذْهَبُهَا، فَلَوْ حُمِلَ (يُنْزِفُونَ) عَلَى نَفَادِ العَقْلِ؛ لَكَانَ المَعْنَى مُكَرَّرًا، وَحَمْلُهُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ أَوْلَى. وَأَمَّا الَّذِي فِي (الوَاقِعَةِ) فَيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ قَبْلَهُ نَفْيٌ عَنْ نَفَادِ العَقْلِ بِالخَمْرِ كَمَا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ"[37].

وَهَكَذَا يَخْتَارُ مَكِّيٌّ حَمْلَ المَعْنَى فِي (الصَّافَّاتِ) عَلَى أَنَّ خَمرَ الجَنَّةِ لَا تَنْفَدُ كَخَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ تَجَنُّبًا، وَتَخَلُّصًا مِنَ التَّكْرَارِ لَوْ حُمِلَ المَعْنَى عَلَى نَفَادِ العَقْلِ.

لَكِنَّ التَّكْرَارَ الَّذِي لَحَظَهُ مَكِّيٌّ، وَفَرَّ مِنْهُ بِحَمْلِ المَعْنَى عَلَى نَفَادِ الشَّرَابِ، أَقُولُ: هَذَا التَّكْرَارُ لَهُ قِيمَتُهُ البَلَاغِيَّةُ العَالِيَةُ، وَذَلِكَ فِيمَا يُعْرَفُ بِذِكْرِ الخَاصِّ بَعْدَ العَامِّ، "وَالمَقْصُودُ البَلَاغِيُّ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الإِطْنَابِ هُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى فَضْلِ الخَاصِّ، وَزِيَادَةُ التَّنْوِيهِ بِشَأْنِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ العَامِّ"[38].

وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى﴾ [البقرة: 238]، فَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَى الصَّلَاةَ الوُسْطَى، وَهِيَ صَلَاةُ العَصْرِ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي عُمُومِ الصَّلَوَاتِ؛ تَنْبِيهًا عَلَى فَضْلِهَا الخَاصِّ حَتَّى كَأَنَّهَا لِفَضْلِهَا جِنْسٌ آخَرُ مُغَايِرٌ لِمَا قَبْلَهَا. إِذَنْ فَذِكْرُ الخَاصِّ بَعْدَ العَامِّ يَكُونُ لِغَرَضٍ بَلَاغِيٍّ عَالٍ هُوَ التَّنْوِيهُ بِشَأْنِ الخَاصِّ.

وَمِنْ هُنَا يَكُونُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ (ت: 338 هـ) قَدْ لَمَسَ المَعْنَى الأَدَقَّ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْمُهِمُّ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنَّ المَعْنَى الدِّلَالِيَّ لِكُلِّ مِنَ القِرَاءَتَيْنِ يَسْمُو بِخَمْرِ الجَنَّةِ إِلَى دَرَجَةِ الكَمَالِ، فَهُوَ سَلَامٌ عَلَى الأَبْدَانِ وَالأَلْبَابِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَنْقَطِعُ.

وَمِمَّا تَغَايَرَتْ قِرَاءَاتُهُ وَتَنَوَّعَتْ دَلَالَاتُهُ أَيْضًا قَوْلُ الحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾ [لقمان: 33].

فَهَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ تَهْدِفُ إِلَى وَعْظِ المُكَذِّبِينَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وُضُوحِ الدَّلِيلِ عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِ: إِنَّ البَعْثَ وَالثَّوَابَ وَالعِقَابَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ مِرَاءٌ، "فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا" أَيْ فَلَا تَخْدَعَنَّكُمُ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَمَبَاهِجِهَا، وَلَا يُذْهِلَنَّكُمُ التَّمَتُّعُ بِهَا، وَالتَّلَذُّذُ بِزِينَتِهَا، وَفِتْنَتِهَا عَنِ العَمَلِ لِلآخِرَةِ، وَاحْذَرُوا خِدَاعَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ خَدَعَهُ فَقَدْ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَآخِرَتَهُ[39]، وَشَاهِدُنَا الدِّلَالِيَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾، فَقَدْ قَرَأَ الجُمْهُورُ (الغَرُورُ) – بِفَتْحِ الغَيْنِ – وَقُرِئَتْ (الغُرُورُ)[40] – بِضَمِّ الغَيْنِ –، وَتَرَتَّبَ عَلَى كُلِّ قِرَاءَةٍ مَعْنًى دِلَالِيٌّ خَاصٌّ.

مَذْهَبُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ:

قَالَ المُوَجِّهُونَ مِنْ عُلَمَاءِ العَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ: مَنْ قَرَأَ (الغَرُورُ) – بِالْفَتْحِ – فَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ جلّ وَعَزَّ يُخْبِرُنَا أَنْ نَحْذَرَ غَدْرَ وَخِدَاعَ (الشَّيْطَانِ)؛ لِأَنَّهُ لَنا عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَمَنْ قَرَأَ (الغُرُورُ) – بِالضَّمِّ – فَهُوَ البَاطِلُ، أَيْ لَا يَغُرَّنَّكُمُ البَاطِلُ. وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ (ت: 244 هـ): "الغُرُورُ – بِالضَّمِّ – مَا اغْتَرَّ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا"[41]. وَمِنَ المُوَجِّهِينَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ (الغُرُورُ) – بِالضَّمِّ – فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (غَار) كَمَا تَقُولُ: جَالِسٌ، وَجُلُوسٌ، وَهَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ.

الثَّانِي: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (غَرٍّ)، غَرَرْتُهُ غَرًّا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ (الغُرُورُ) مَصْدَرًا.

لَكِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ الزَّجَّاجَ (ت:311 هـ) اسْتَبْعَدَ القَوْلَ الثَّالِثَ؛ لِأَنَّ (غَرَرْتَهُ) مُتَعَدٍّ، وَالمَصْدَرُ مِنَ الفِعْلِ المُتَعَدِّي يَكُونُ عَلَى (فَعْلٍ) – بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ – نَحْوَ ضَرَبْتُهُ ضَرْبًا، وَلَا تَكَادُ تَقَعُ عَلَى (فُعُولٍ) – بِضَمَّتَيْنِ – إِلَّا اليَسِيرَ الَّذِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، نَحْوَ لَزِمْتُهُ لُزُومًا، وَأَنْهَكَهُ المَرَضُ نُهُوكًا[42].

وَقَالَ النَّحَّاسُ (ت: 338 هـ): "وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ مَا قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (الغُرُورُ) – بِالضَّمِّ – بِاللهِ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ يَعْمَلُ المَعَاصِيَ، ثُمَّ يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ – جَلَّ وَعَزَّ – المَغْفِرَةَ"[43].

وَبَعْدَ إِنْعَامِ النَّظَرِ أَرَى أَنَّ القِرَاءَتَيْنِ، وَإِنِ اخْتَلَفَ مَعْنَاهُمَا إِلَّا أَنَّهُمَا تَسِيرَانِ فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَنْبِيهُ المُؤْمِنِ مِنَ الانْخِدَاعِ بِالمَظَاهِرِ الخَدَّاعَةِ الَّتِي تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَرَارَةَ النَّدَمِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ نَدَمٌ خَاصَّةً وَأَنَّ "المُؤْمِنَ – كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – غِرٌّ كَرِيم"[44]. أَيْ لَا يَنْخَدِعُ؛ لانْقِيَادهُ وَلِينِهِ.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَغَايُرِ المَبْنَى بَيْنَ القِرَاءَاتِ وَبُرُوزِ مَعَانٍ دِلَالِيَّةٍ نَتِيجَةً لِاخْتِلَافِ هَيْئَةِ الكَلِمَةِ فِي حَرَكَاتِهَا قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: 81].

فِي هَذَا النَّصِّ يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى طَرَفًا مِنْ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُ: لَقَدْ صَيَّرَ اللهُ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ مِنَ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ "وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَانًا"، قِيلَ: إِنَّ الأَكْنَانَ وَاحِدُهَا (كِنٌّ) وَهُوَ الحَافِظُ مِنَ المَطَرِ وَالرِّيحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ... وَهِيَ البُيُوتُ المَنْحُوتَةُ فِي الجِبَالِ، وَالغِيرَانُ وَالكُهُوفُ، جَعَلَهَا اللهُ عُدَّةً لِلْخَلْقِ يَأْوُونَ إِلَيْهَا وَيَتَحَصَّنُونَ بِهَا، وَيَسْتَرِيحُونَ فِيهَا، والسَّرَابِيلُ وَاحِدُهَا: سِرْبَالٌ وَهُوَ مَا لُبِسَ مِنَ القُمُصَانِ، وَالثِّيَابِ اتِّقَاءً لِلْحَرِّ، وَقَالَ تَعَالى: ﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾، وَلَمْ يَذْكُرِ البَرْدَ.. قَالَ المُفَسِّرُونَ: لِأَنَّ ذِكْرَ أَحَدِهِمَا يَدُلُّ عَلَى ذِكْرِ الآخَرِ، فَهُوَ مَعْلُومٌ مِنَ المَذْكُورِ بِالضَّرُورَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ[45]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا *** أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

أَيْ: الخَيْرُ أَمِ الشَّرُّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ أَيْضًا السِّرْبَالُ: هو مَا لُبِسَ مِنَ الدُّرُوعِ، وَالزَّرُودِ، وَآلَةِ الحَرْبِ مِنَ الحَدِيدِ؛ لِتَحْمِيَكُمْ مِنْ شِدَّةِ الطَّعْنِ، وَالضَّرْبِ، وَأَذَى الحَرْبِ عُمُومًا، وَلِتَكُونَ لَكُمْ قُوَّةً عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، أَيْ تَنْظُرُونَ فِي نِعَمِهِ الفَائِضَةِ؛ فَتُؤْمِنُونَ بِهِ، وَتَنْقَادُونَ لَهُ[46].

هَذَا وَقَدْ رَصَدَتِ القِرَاءَاتُ تَغَايُرًا فِي لَفْظَةِ (تُسْلِمُونَ) فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ مِمَّا أَدَّى إِلَى تَغَايُرِ مَعْنَاهَا وَتَنَوُّعِ دِلَالَتِهَا.

فَقَدْ قَرَأَهَا الجُمْهُورُ (تُسْلِمُونَ) – بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ – بِمَعْنَى تُؤْمِنُونَ، فَتَسْتَسْلِمُونَ، فَتَنْقَادُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ فِي نِعَمِ اللهِ وَالتَّأَمُّلَ فِيهَا مُفْضٍ إِلَى الإِيمَانِ بِهِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ (تَسْلَمُونَ) – بِفَتْحِ التَّاءِ وَاللَّامِ – مِنَ السَّلَامَةِ مِنَ الجِرَاحَاتِ[47] ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الدِّلَالَةَ مَهَّدَ لَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾، وَوَجَدَتْ مَنْ يَتَبَنَّاهَا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، يَقُولُ ابْنُ عَطِيَّةَ (ت: 546 هـ) مُوَجِّهًا هَذِهِ القِرَاءَةَ: "فَتَكُونُ اللَّفْظَةُ (تَسْلَمُونَ) مَخْصُوصَةً فِي بَأْسِ الحَرْبِ، وَمَا فِي (لَعَلَّ) مِنَ التَّرَجِّي، وَالتَّوَقُّعِ، فَهُوَ فِي حَيِّزِ البَشَرِ لِلْمُخَاطَبِينَ؛ أَيْ: لَوْ نَظَرَ النَّاظِرُ هَذِهِ الحَالَ لَتَرَجَّى مِنْهُمْ إِسْلَامُهُمْ"[48] .

وَوَجَّهَهَا جَارُ اللهِ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: 538 هـ) عَلَى مَعْنَى "تَسْلَمُونَ مِنَ السَّلَامَةِ؛ أَيْ تَشْكُرُونَ، فَتَسْلَمُونَ مِنَ العَذَابِ، أَوْ تَسْلَمُ قُلُوبُكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، أَوْ تَسْلَمُونَ مِنَ الجِرَاحِ بِلُبْسِ الدُّرُوعِ"[49] .

بَيْدَ أَنَّ القُرْطُبِيَّ (ت: 671 هـ) يَقْدَحُ فِي هَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ بَادِئًا بِتَضْعِيفِ القِرَاءَةِ نَفْسِهَا، فَقَالَ: "قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ (تَسْلَمُونَ) – بِفَتْحِ التَّاءِ وَاللَّامِ –، أَيْ تَسْلَمُونَ مِنَ الجِرَاحِ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.."، ثُمَّ يَقُولُ: "قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ (ت: 224 هـ): وَالاخْتِيَارُ قِرَاءَةُ العَامَّةِ؛ لِأَنَّ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ مِنَ الجِرَاحِ"[50].

وَالَّذِي أُرَجِّحُهُ أَنَّ كِلْتَا القِرَاءَتَيْنِ تَخْدُمُ المَعْنَى بِاسْتِشْرَافِ آفَاقِهِ البَعِيدَةِ، وَالقَرِيبَةِ، فَعَلَى قِرَاءَةِ الجُمْهُورِ: إِنَّ النَّظَرَ وَالتَّمَعُّنَ فِي نِعَمِ اللهِ وَمِنَنِهِ يَقْضِي بِالعُقَلَاءِ إِلَى الانْقِيَادِ وَالاسْتِسْلَامِ، وَبِالتَّالِي الإِيمَانِ بِخَالِقِ هَذِهِ النِّعَمِ. وَعَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ (تَسْلَمُونَ) ذُكِرَ فِي البَحْرِ المُحِيطِ[51]، وَغَيْرِهِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَرَأَ (تَتِمُّ) – بِتَاءً مَفْتُوحَة – (وَنِعْمَتُهُ) – بِالرَّفْعِ – مُسْنِدًا التَّمَامَ إِلَيْهَا اتِّسَاعًا، وَتَكُونُ (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) – بِفَتْحِ التَّاءِ وَاللَّامِ – مِنَ السَّلَامَةِ، وَالفِكَاكِ، فَكَأَنَّ هَذَا المَعْنَى تَعْلِيلٌ لِوِقَايَةِ السَّرَابِيلِ مِنْ أَذَى الحَرْبِ[52] أَوْ يَكُونُ المَعْنَى: تَنْجُونَ مِنَ الإِشْرَاكِ، فَتُؤْمِنُونَ.

وَكُلُّهَا دِلَالَاتٌ ارْتَقَتْ بِالمَعْنَى فِي صُورَةٍ كَامِلَةٍ لَمْ تُنْقِصْ شَيْئًا.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ التَّغَايُرِ الدِّلَالِيِّ بِالتَّغَايُرِ الحَرَكِيِّ الَّذِي قَدْ يَطْرَأُ عَلَى بِنْيَةِ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَةِ قَوْلُ اللهِ عَزَّتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110].

فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ خِطَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِلْكَفَرَةِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِجِرْمَانِهَا مِنَ الثَّوَابِ، وَتَعْرِيضِهَا لِلْعِقَابِ، وَالَّذِينَ أَصْبَحَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ، حِينَما قَالُوا مُخَاطِبِينَ رَبَّ العِزَّةِ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أَيْ مِنْ جَهَنَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ رَبُّ العِزَّةِ: ﴿اخْسَأُواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، أَيْ اقْعُدُوا فِي النَّارِ أَذِلَّاءَ، ثُمَّ ذَكَّرَهُمُ المَوْلَى سُبْحَانَهُ بِذَنْبِهِمُ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ مُكْثِهِمْ فِي النَّارِ ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾، أَيْ سَخِرْتُمْ مِنْهُمْ، وَاسْتَهْزَأْتُمْ بِهِمْ، ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ أَيْ: فَانْشَغَلْتُمْ بِالاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ عَنْ تَذَكُّرِي. ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، إِذَا عَبَدُونِي، وَذَكَرُونِي، وَدَعَوْنِي[53] .

تَغَايُرُ قِرَاءَةَ (سُخْرِيّاً):

هَذَا وَقَدْ تَغَايَرَتْ قِرَاءَةُ (سِخْرِيًّا) – بِضَمِّ السِّينِ وَكَسْرِهَا[54] –، وَتَبِعَ ذَلِكَ اخْتِلَافٌ فِي تَفْسِيرِ العُلَمَاءِ لَهَا، إِذْ وَقَفُوا مِنْهُ مَوْقِفَيْنِ:

الأَوَّلُ: يَرَى أَنَّ (سُخْرِيًّا) – بِضَمِّ السِّينِ وَكَسْرِهَا – لُغَتَانِ فِيهَا، وَالمَعْنَى وَاحِدٌ كَمَا يُقَالُ: (عِصِيٌّ) – بِكَسْرِ العَيْنِ –، وَ(عُصِيٌّ) – بِضَمِّ العَيْنِ – وَهِيَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ مَعْنَى السُّخْرَةِ وَالاسْتِهْزَاءِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، فَالضَّحِكُ بِالشَّيْءِ نَظِيرُ الاسْتِهْزَاءِ بِهِ، قَالَ النَّحَّاسُ (ت: 338هـ): "(سِخْرِيًّا) – بِالكَسْرِ وَالضَّمِّ – فَرَّقَ أَبُو عَمْرٍو بَيْنَهُمَا فَجَعَلَ المَكْسُورَةَ مِنْ جِهَةِ التَّهَزُّؤِ، وَالمَضْمُومَةَ مِنْ جِهَةِ السُّخْرَةِ، وَلَا يَعْرِفُ هَذَا التَّفَرُّقَ الخَلِيلُ، وَلَا سِيبَوَيْهِ – رَحِمَهُمَا اللهُ – وَلَا الكِسَائِيُّ، وَلَا الفَرَّاءُ"[55]، قَالَ الكِسَائِيُّ: هُمَا لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كَمَا يُقَالُ: عِصِيٌّ، وَعُصِيٌّ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: إِنَّمَا يُؤْخَذُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ المَعَانِي عَنِ العَرَبِ، فَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَلَا يَكُونُ، وَالكَسْرُ فِي (سِخْرِيًّا) فِي المَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا، وَفِي (عِصِيّ) أَكْثَرُ ؛ لِأَنَّ الضَّمَّةَ تَسْتَقِلُّ فِي مِثْلِ هَذَا[56].

إِذَنِ النَّحَّاسُ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ – حَسَبَ رَأْيِهِ – يَرَوْنَ أَنَّ الضَّمَّ وَالْكَسْرَ فِي (سخَرِيًّا) لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَهْلَ اللُّغَةِ فَيَرَى أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا فِي الْمَعْنَى بَيْنَ قِرَاءَةِ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ فِي (سُخَرِيًّا)، فَقَدْ فَرَّقَ أَبُو عَمْرٍو بَيْنَهُمَا فَجَعَلَ الْمَكْسُورَةَ مِنْ جِهَةِ التَّهَزُّؤِ، وَالْمَضْمُومَةَ مِنْ جِهَةِ السّخرة[57].

وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ عَنِ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ[58] الْفَرْقَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو، وَأَنَّ الْكَسْرَةَ بِمَعْنَى الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ بِالْقَوْلِ، وَالضَّمَّ بِمَعْنَى التَّسْخِيرِ وَالِاسْتِعْبَادِ بِالْفِعْلِ[59]، وَمِثْلَ ذَلِكَ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ نَاسِبًا التَّفْرِيقَ لِلْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ: "وَعَنِ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ أَنَّ الْمَكْسُورَةَ مِنَ الْهُزْءِ، وَالْمَضْمُومَةَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ"[60]. أَمَّا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ (ت: 182هـ) فَيَرَى فِيمَا نُسِبَ إِلَيْهِ: "إِذَا أُرِيدَ التَّحْرِيمُ فَضَمَّ السِّينَ لَا غَيْرَ، وَإِذَا أُرِيدَ الْهُزْءُ، فَالضَّمُّ وَالْكَسْرُ"[61].

وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ (ت: 377 هـ) يَمِيلُ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ قِرَاءَةِ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَيُحبِّذُهُما وَهُوَ يَرَى أَنَّ لِكُلِّ قِرَاءَةٍ دَلَالَةً فَيَرَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِالْكَسْرِ فِي آيَتَي الْمُؤْمِنِينَ، وَص(62)، أَوْجَهُ؛ لِأَنَّهُ بمَعْنَى الِاسْتِهْزَاءِ، وَالْكَسْرُ فِيهِ أَكْثَرُ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْآيَةِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:110]. وَمِنْ ثَمَّ اتَّفَقَ هَؤُلَاءِ الْقُرَّاءُ عَلَى الضَّمِّ فِي الزُّخْرُفِ د63]، فَهَذَا مِنَ السُّخْرَةِ، وَانْقِيَادِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي الْأُمُورِ، إِنْ لَمْ يَنْقَدْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِيهَا لَمْ يَلْتَئِمْ قِوَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ[64].

وَلَكِنَّ السَّمِينَ الْحَلَبِيَّ (ت: 756هـ) يَقْدَحُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ قَائِلًا عَنْهُ: "لَا حُجَّةَ فِيهِ لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ يُسَخِّرُونَهُمْ فِي الْعَمَلِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمُ اسْتِهْزَاءً"[65] ، وَيَرَى الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ هُوَ الْأَرْجَحُ. وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ – فِي رَأْيِي – الرُّؤْيَةُ الْأَصْوَبُ: لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:110]، الضَّحِكُ حَاصِلٌ سَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى: التَّسْخِيرُ فِي الْعَمَلِ، بِمَعْنَى الْإِذْلَالِ وَالِاسْتِعْبَادِ، أَوْ كَانَ بِمَعْنَى السُّخْرِيَةِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ.

وَلِذَلِكَ فَالْقِرَاءَتَانِ الْمُتَوَاتِرَتَانِ يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِمَا، وَلَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ إِحْدَاهُمَا عَلَى حِسَابِ الْأُخْرَى كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

هَذِهِ أَمْثِلَةٌ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ سُقْتُهَا لِأُبَيِّنَ قُوَّةَ التَّأْثِيرِ الْحَرَكِيِّ فِي الْمُسْتَوَى الدِّلَالِيِّ لِلْكَلِمَةِ، وَيَنْسَحِبُ هَذَا عَلَى مَثِيلَاتِ هَذِهِ الْآيَاتِ مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ، مِمَّا يَفِيضُ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزِ، وَيَبْقَى نَسَقُ الْآيَاتِ وَسِيَاقُهَا، وَمُنَاسَبَاتُهَا لَهُ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ وَهَامٌّ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَاهَا وَرُبَّمَا هُوَ الَّذِي يُؤَثِّرُ عَلَى التَّغَايُرِ الْحَرَكِيِّ.

الخاتمة:

أُجْمِلُ مَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ الدِّرَاسَةُ مِنْ نَتَائِجَ فِي النِّقَاطِ الْآتِيَةِ:

1- تَتَرَبَّعُ الْحَرَكَاتُ – لِأَهَمِّيَّتِهَا – عَلَى عَرْشِ الدِّلَالَةِ الصَّرْفِيَّةِ، وَالصَّوْتِيَّةِ، وَالْمَعْنَوِيَّةِ، لِأَنَّ تَعَاقُبَهَا عَلَى الْحُرُوفِ الْأَوَّلِ، وَالْوُسْطَى يَكُونُ رَمْزًا لِلصِّيَغِ، وَالْمَعَانِي، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ كَلِمَةِ (حَسَنٍ) – مَثَلًا – فَإِنَّ الْحَرَكَةَ عَلَى السِّينِ تَدْفَعُ اللَّفْظَ دَفْعًا إِلَى الِاسْمِيَّةِ، وَقَدْ تَعْطِفُهُ عَلَى بَابِ الْفِعْلِيَّةِ. وَتَبْقَى الْكَلِمَاتُ الْمُشْتَرَكَةُ الْأُصُولُ أَشَدَّ احْتِيَاجًا لِلْحَرَكَاتِ، لِأَهَمِّيَّتِهَا فِي تَشْكِيلِ الصِّيَغِ الصَّرْفِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ دَاخِلَ الْإِطَارِ الدِّلَالِيِّ الَّذِي حَدَّدَتْهُ الصَّوَامِتُ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تَغْيِيرَ حَرَكَةِ فَاءِ الْكَلِمَةِ أَوْ عَيْنِهَا يَخْلُقُهَا خَلْقًا جَدِيدًا، وَيَنْقُلُهَا مِنْ مَحَلٍّ دِلَالِيٍّ إِلَى مَحَلٍّ آخَرَ مُغَايِرٍ لَهُ تَمَامًا.

2- إِنَّ الْعَرَبَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ كَانَتْ تَنْطِقُ بِسَلَائِقِ الْفَصَاحَةِ، عَلَى سَجَايَاهَا، فَالْإِعْرَابُ فِيهِمْ مَلَكَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ. كَمَا أَنَّهُ وَمِنْ خِلَالِ التَّتَبُّعِ الْجَادِّ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ لَا لَحْنَ أَلْبَتَّةَ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ وَصَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ كَانَ اللَّحْنُ قَدِ انْتَفَى فِي النَّظْمِ – بِالْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ – فِي الْفَتْرَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا، فَهُوَ فِي الْخِطَابِ أَشَدُّ انْتِفَاءً، بِدَلِيلِ إِجْمَاعِ الْبَاحِثِينَ الْجَادِّينَ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى ذَلِكَ، مَعَ الْأَخْذِ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ أَنَّ مَا خَالَفَ قَوَاعِدَ النَّحْوِيِّينَ مِنْ عَصْرِ الِاسْتِشْهَادِ لَيْسَ لَحْنًا بِمَعْنَى الْخَطَأِ فِي اللُّغَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَاذٌّ عِنْدَ أَصْحَابِ مَذْهَبِ الْقِيَاسِ، صَحِيحٌ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يُقَدِّمُونَ السَّمَاعَ.

3- إِنَّ خُرُوجَ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ عَرِينِهَا، وَمَهْدِهَا الْأَصِيلِ مَعَ كَتَائِبِ الْفُتُوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُظَفَّرَةِ، وَمَا نَشَأَ عَنْ ذَلِكَ مِنَ اخْتِلَاطِ الْعَرَبِ بِالشُّعُوبِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الْبِيزَنْطِيِّينَ، وَالْفُرْسِ وَالْأَحْبَاشِ، وَدُخُولِ هَؤُلَاءِ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا، فَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الِاتِّصَالِ أَثَرُهُ الْمَحْتُومُ فِي لُغَةِ الضَّادِ حَيْثُ تَسَرَّبَ الْفَسَادُ إِلَيْهَا وَبَدَأَ يَظْهَرُ اللَّحْنُ، وَيَسْتَشْرِي.

4- أَوَّلُ رَمْزٍ كِتَابِيٍّ لِلْحَرَكَاتِ الْعَرَبِيَّةِ كَانَ عَلَى يَدِ الرَّائِدِ الْأَوَّلِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، الَّذِي كَانَ لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ فِي كَشْفِ الْمَجْهُولِ، وَتَمْهِيدِ الطَّرِيقِ لِمَنْ بَعْدَهُ لِيُتِمَّ وَيُكْمِلَ. لَقَدْ فَزِعَ هَذَا الْمُسْلِمُ إِلَى عَبْقَرِيَّتِهِ حِرْصًا عَلَى لُغَتِهِ، وَبَادَرَ إِلَى الْوَسَائِلِ الْكَفِيلَةِ بِدَرْءِ

اللَّحْنِ، وَإِبْعَادِ خَطَرِهِ. وَهَكَذَا يُحَلِّقُ هَذَا الْعَبْقَرِيُّ فِي سَمَاءِ الْمَعْرِفَةِ، يَسْبِقُ الدَّارِسِينَ بِمِئَاتِ السِّنِينَ فِي وَضْعِ أَسَاسٍ مِنْ أُسُسِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ، وَذَلِكَ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى شَكْلِ شَفَتَيِ النَّاطِقِ بِالْعَرَبِيَّةِ.

مصادر البحث ومراجعه:

[1] انظر: دروس في التصريف، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص5.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 256/14–257، والبحر المحيط، 538/8، وأوضح التفاسير لابن الخطيب، ص524.

[3] إعراب القرآن للنحاس، 341/3–343، والمحتسب لابن جني، 190/2،189، والجامع لأحكام القرآن، 256/14–257، والبحر المحيط، 538/8–539، وكتاب السبعة لابن مجاهد، ص229.

[4] انظر: المحتسب، 190/2.

[5] انظر إعراب القرآن للنحاس، 341/3–343، والمحتسب 189/2–190، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، 1067/2، والجامع لأحكام القرآن، 257/14، والبحر المحيط، 538/8–539.

[6] إعراب القرآن للنحاس، 342/3، والجامع لأحكام القرآن، 257/14.

[7] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 214/4، والبحر المحيط، 354/3.

[8] الكشف عن وجوه القرآءات السبع، 356/1، والبحر المحيط، 354/3، وإتحاف فضلاء البشر، ص108.

[9] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 470/1، والجامع لأحكام القرآن، 214/4.

[10] قال أبو حيان صاحب البحر المحيط: "قال أبو علي والفتح أولى... ولا أولوية إذ كلاهما متواتر" البحر المحيط 354/3.

[11] الحجة للقراء السبعة، 79/3، وإعراب القرآن للنحاس، 400/1، ومشكل إعراب القرآن، لمكي، 159/1.

[12] التبيان في إعراب القرآن 294/1.

[13] معاني القرآن، للفراء، 234/1.

[14] حجة القراءات، لأبي زرعة بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ص174.

[15] انظر الجامع لأحكام القرآن، 39/3–40، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 2257/3، وأوضح التفاسير، لابن الخطيب، ص39–40.

[16] قرأ الجمهور بضم الكاف، وقد فتحها السلامي. ينظر السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ص 229، والنشر في القراءات العشر، 248/2، وإلحاف فضلاء البشر، للبنا الدمياطي، 506/1، والبحر المحيط، 362/2.

[17] ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 288/1–289

[18] الحجة للقراء السبعة، 144/3.

[19] الجامع لأحكام القرآن، 39/3–40.

[20[معجم القراءات، 119/2، والكشف، 282/1.

[21] انظر الكشاف، للزمخشري، 258/1، والبحر المحيط، 362/2.

[22] ينظر المحرر الوجيز، 20/15–21.

[23] ينظر عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 2256/3–2257، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص 429.

[24] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 289/1.

[25] ينظر الجامع لأحكام القرآن، 278/1، والبحر المحيط، 175/1.

[26] الجمهور على فتح الواو، وقرأ مجاهد وطلحة وأبو حيان وعيسى بن عمر الهمذاني بضم الواو. ينظر معجم القراءات، 38/1، والجامع لأحكام القرآن، 278/1، والبحر المحيط، 175/1.

[27] انظر معاني القرآن وإعرابه، 101/1.

[28] المحتسب، 63/1.

[29] ولكن سيبويه قال: "وسمعنا من العرب من يقول: وقدت النار وقودا بالفتح غالبا"، وقال أبو حيان الأندلسي: "الوقود – بالفتح – اسم لما يوقد به، وقد سمع مصدرا وهو من المصادر التي جاءت على (فعول) – بالفتح –، كالوضوء، والظهور، والولوع، والقبول..." ينظر الكشاف، 102/1، والبحر المحيط، 166/1.

[30] ينظر معاني القرآن، للأخفش، 51/1، وإعراب القرآن، للنحاس، 201/1، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، 41/1، والجامع لأحكام القرآن، 278/1، والبحر المحيط، 175/1.

[31] ينظر البحر المحيط، 101/9، وأوضح التفاسير، لابن الخطيب، ص 545.

[32] قرأ أهل المدينة، وأهل البصرة (ينزفون) – بفتح الزاي –، وقرأ الحرميان بضم الزاي وفتح الراء في الآيتين الكريمتين، وقرأ الكوفيون إلا خلفا بكسر

الزاي في الآيتين، وقرأ عاصم بفتحها في الصافات، وكسرها في الواقعة. ينظر إعراب القرآن للنحاس، 419/3، والبحر المحيط، 101/9، 80/10، والتيسير، ص207، والعنوان في القراءات السبع، ص 161، 185.

[33] ينظر: معاني القرآن للقراء، 385/2، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، 303/4-304.

[34] منهم من نسب البيت للحطيئة، ومنهم من نسبه للأبيرد. ينظر الجامع لأحكام القرآن، 71/15-72، واللسان، مادة (نزف).

[35] معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 303/4-304، والكشاف للزمخشري، 43/4، والجامع لأحكام القرآن، 71/15-72، و(أبجرا) هو ابن جابر النصراني، ينظر: المرجع السابق، ونفس الصفحات.

[36] انظر: إعراب القرآن للنحاس، 420/3.

[37] الكشف، 224/2-225.

[38] علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ص207. ط. الثانية، 1970م.

[39] انظر: الكشاف، 599/3، والجامع لأحكام القرآن، 282/14، وانظر: أوضح التفاسير لابن الخطيب، ص504.

[40] قرأها الجمهور (الغرور) – بفتح الغين، وقرأ أبو حيوه وأبو السمان والعدوي، ومحمد بن السميقع، (الغرور) بضم الغين، انظر: الجامع لأحكام القرآن، 282/14، 75، والبحر المحيط، 14/9.

[41] إصلاح المنطق، لابن السكيت، ص332-333، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، 263/4، والكشاف، 599/3، والجامع لأحكام القرآن، 282/14.

[42] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للرجاج، 263/4، وإعراب القرآن للنحاس، 361/3، والكتاب، 599/3.

[43] إعراب القرآن للنحاس، 361/3.

[44] النهاية، 354/3، وعمدة الحفاظ، 1876/3.

[45] انظر معاني القرآن، للفراء، 112/2.

[46] ينظر: المصدر السابق، نفس الصفحة، والكشاف، 626/2، والجامع لأحكام القرآن، 144./10

[47] ينظر: معاني القرآن، للفراء، 118/2، والجامع لأحكام القرآن، 144/10، والبحر المحيط، 578/6.

[48] المحرر الوجيز، لابن عطية، 216/10.

[49] الكشاف، 626/2.

[50] الجامع لأحكام القرآن، 144/10.

[51] ينظر: المصدر السابق نفس الصفحة، والبحر المحيط، 578/6.

[52] ينظر: المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

[53] ينظر: أوضح التفاسير، لابن الخطيب، ص 421.

[54] (سخريا) – بالضم – قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف والأعمش وعبد الله بن مسعود وابن أبي إسحاق والأعرج. وبالكسر: قراءة الأكثرية، وهي القراءة المتداولة المشهورة. ينظر معجم القراءات القرآنية، 226/4، والكشف عن وجوه القراءات، ص 1312، والجامع لأحكام القرآن، 138/12، والبحر المحيط، 587/7.

[55] في هذا الاستشهاد سهو سيتضح بعد قليل.

[56] إعراب القرآن للنحاس، 124/3، وينظر معاني القرآن وإعرابه، 24/4.

[57] ينظر: إعراب القرآن للنحاس، 124/3.

[58] هذا هو السهو الذي وقع فيه النحاس حيث إن العالمين، الكسائي والفراء يريان التفريق بين قراءة الضم، والكسر، لا كما ذكر النحاس. وينظر معاني القرآن للقراء، 243/2.

[59] الجامع لأحكام القرآن، 138/12.

[60] ينظر: الكشاف، 205/3.

[61] البحر المحيط، 587/7.

[62] وهو قول الله تعالى: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار﴾ [ص:62-63].

[63] الحجة للقراء السبعة، 302/5-306، 85/6.

[64] الدر المصون، للسمين الحلبي، 203/5-204، وينظر: 96/6.

[65] الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ص67.